**ابن قتيبة وثعلب**

مبحث فى علم القراءات الشاذه

إعداد / أحمد محمد سمير

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

[**Ahmedmsamir54@gmail.com**](mailto:Ahmedmsamir54@gmail.com)

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى ابن قتيبة وثعلب**

**الكلمات المفتاحية – ثعلب، مسلم، سبعين**

* **.المقدمة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة ابن قتيبة وثعلب**

* **.عنوان المقال**

**ابن قتيبة:**

**نتحدث عن ابن قتيبة عبد الله بن مسلم المتوفى سنة ست وسبعين بعد المائتين، يعد ابن قتيبة الوريث الشرعي لمذهب أستاذه أبي حاتم السجستاني في تهجمه على القراءات من دون تمكن، أو دراية عميقة لوجوه العربية.**

**قال أبو الطيب اللغوي: "كان يتسرع في أشياء لا يقوم بها، نحو تعرضه لتأليف كتاب في النحو مما أزرى به عند العلماء. وكان أبو قتيبة يتعصب لمذهبه النحوي، ولو كلفه ذلك الطعن على بعض مظاهر القرآن، أو قرائه الكبار، فقد ذهب إلى الاعتقاد بأن صحة الحديث الذي يروى خطأ الكتاب في مصحف عثمان مرهونة بإيجاد وجوه نحوية لهذه الأخطاء، كما طعن على كثير من القراء المتقدمين، ورماهم بالوهم والغلط، وشدد النكير على حمزة -أحد القراء السبعة- ونعته بالجهل والخلط، وتضليل العامة في اختياراته، ورفض بعض قراءاته، وقد اتبع المنهج ذاته في القراءات النادرة، فرفض بعضًا وقبل بعضًا.**

**فهو يرفض قراءة بعض المتقدمين: "فَلَا تُشْمِتَ بِيَ الْأَعْدَاءَ" بفتح التاء ونصب الأعداء، ويرمي أبا حيوة بالكفر لقراءته: "ولا يحزنك قولهم أن العزة لله جميعًا" بفتح همزة "أن"، وهو لا يحتفل بمخالفة الرسم إذا كانت القراءة تتفق ومذهبه، فقد خرج قراءة بعض السلف: "والشمس تجري لا مستقر لها" قال: والمعنى: أنها لا تقف ولا تستقر، ولكنها جارية أبدًا، كما خرج قراءة بعض المتقدمين: "ونادوا يا مال" على أنها يا مالك، بل فضل بعضها أحيانًا على القراءات المشهورة، فقراءة ابن عباس: "بلى أدارك علمهم" أشد إيضاحًا للمعنى، وهو بعد هذا قد يحتج بهذه الحروف للقراءات المشهورة متبعًا في ذلك سنة الفراء.**

**وخلاصة القول: أن ابن قتيبة يخضع القراءات جميعًا لمذهبه النحوي، ويعتمد على القراءات الشاذة في تثبيت الوجوه النحوية ما دامت موافقة لآرائه، وقد دفعه هذا المنهج إلى الطعن على القراء لقراءتهم -كما يزعم- بالشاذ في العربية، قال: فهفو في كثير من الحروف، وزلوا وقرءوا بالشاذ.**

**المبرد:**

**ننتقل إلى المبرد؛ هو أبو العباس محمد بن يزيد، تابع المبرد أستاذه المازني في تحكيم المقياس النحوي بالقراءات مشهورة كانت أم قليلة، ضاربًا الصفح عن سنتها؛ متعللًا بضرورة التحليق بأسلوب القرآن، وحمله على أشرف المذاهب في العربية، ولم يفرق المبرد في طعنه على القراءات بين مشهورة وشاذة، ولعله لم يكن على معرفة دقيقة بمستويات شهرتها؛ إذ وجدنا عباراته مضطربة في تسمية القراءة، ويغلب عليها النقل الحرفي عن القدماء، ولا سيما سيبويه، مع أن قرنًا يفصل بينهما، فهذه المدة الزمنية كفيلة باختلاف مستوى شهرة القراءة في مرحلة التكوين والتطوع، فقد قال سيبويه: قرأ الناس: {ﭡ ﭢ} [التوبة: 78] على وجهين، فردد المبرد قوله: مع أن قراءة الرفع هي التي رجحت كفتها، كما يقول في بعض القراءات: قرأ القراء، والقراءة لواحد، أو اثنين، لا أكثر.**

**ولقد طبق المبرد على القراءات عمومًا قوله المعروف: إذا جعلت النوادر والشواذ غرضك كثرت زلاتك. فوصف بعض القراءات الشاذة باللحن، والغلط، والقبح، وعدم الجواز، وحمل بعضها على الضرورة الشعرية، كما نعت بعض القراء بالوهم.**

**وبمثل هذه الحدة نظر إلى القراءات الشواذ فقبل بعضها، ورفض بعضها الآخر، فقد رد الرواية عن نافع: "أتعدانَني" بفتح النون الأولى قائلًا: إن كان مثل هذا يجوز فليس بين الحق والباطل فرق، يتركون كتاب الله  ولغات العرب، ويستشهدون بأعرابي بوال.**

**ووصف قراءة "أطهر" باللحن الفاحش، ورفض حذف حرف القسم في قراءة بعضهم قال: "فالحق والحق أقول"، ودفعه حرصه الشديد على علامة الإعراب إلى تلحين قراءة بعضهم -أي قراءة مسلمة بن عبد الله النحوي: "وهو خادعهم". وقد يتذمر المبرد من بعض هذه القراءات، فلا يرفضها رفضًا قاطعًا، وإنما يفضل عليها القراءات المشهورة، من ذلك: أنه فضل نصب "الطير" على قراءة الأعرج "يا جبال أوبي معه والطيرُ" بالرفع، ورأى أن قراءة عمارة بن عقيل: "ولا الليل سابق النهار" بحذف تنوين سابق، ونصب "النهار" ليست الوجه؛ لأن الحذف لالتقاء الساكنين عنده لا يكون إلا في حروف المد واللين.**

**وكما رفض المبرد بعض هذه القراءات ارتضى قسمًا آخر؛ لأنه يوافق مذهبه، فقراءة ابن عباس: "لم يمسسه نار" بتذكير الفعل مقبولة عنده؛ لأن المؤنث غير حقيقي. وقراءة أبي جعفر: "يذهب بالأبصار" محمولة على تعليق الجار والمجرور بالأبصار بالمصدر؛ لأن الفعل يدل عليه، والتقدير: يذهب إذهابه بالأبصار.**

**ويبدو أن المبرد يعتد أيضًا بالحروف المخالفة من دون أن تثنيه مخالفتها لمصاحف المسلمين، فنحن لم نجده يحتفل بهذه المخالفات، أو يشير إليها، بل كان همه أن يفي حق النحو عليه بكل ما يستطيع من مصادر، فقد تابع سيبويه في توجيهه قراءة: "ولكن كانوا هم الظالمون" على جعل "هم" مبتدأ، و"الظالمون" خبره، وخرج حرف أبي "تقاتلونهم أو يسلموا" على معنى: إلا أن يسلموا، وحتى يسلموا، بقول امرئ القيس:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فقلت له لا تبك عينك إنما** | **\*** | **نحاول ملكًا أو نموت فنعذرا** |

**وكان المبرد يتعصب أحيانًا لبعض هذه القراءات، ويرى أنها الوجه، من ذلك: جعله قراءة الحسن: "فله عشرٌ أمثالها" هي المختارة عند أهل اللغة، لماذا؟ لأن إضافة العدد إلى الاسم أجود من إضافته إلى النعت. كما تابع الفراء في جعله قراءة النبي: "فبذلك فلتفرحوا" هي الأصل؛ لدخول اللام، بل قرر ببعض هذه القراءات قواعد جديدة، منها: أنه أجاز تنكير الظرفين "قبل، وبعد" قياسًا على تنكير أولًا وآخرًا، وعلى نداء النكرة "يا رجلا" بقراءة بعضهم: "لله الأمر من قبل ومن بعد"، كما أجاز دخول لام الابتداء على أن المفتوحة بقراءة سعيد بن جبير: "إلا أنهم ليأكلون الطعام"، وإعمال "إن" المخففة المكسورة الهمزة عمل ليس بقراءة سعيد بن جبير: "إن الذين تدعون من دون الله عبادًا أمثالكم".**

**وصفوة القول: أن المبرد تعصب لمذهبه النحوي تعصبًا ظاهرًا على حساب القراءات الشاذة، وتابع أستاذه المازني في قسوته، فلم يرع للقراءات حرمة، ولم يحفظ ذمم أصحابها؛ فقبل منها ما وافق مذهبه النحوي، ورفض ما لم يوافقه، ووقف من بعضها موقف الحذر، واحتج لما أخذه أحيانًا بالقرآن، والشعر.**

**نتحدث عن ثعلب:**

**وهو أبو العباس أحمد بن يحيى المتوفى سنة إحدى وتسعين بعد المائتين. كان ثعلب يتابع أساتذته في كل ما يقولون، ويسير على منهجهم في النظر إلى القراءات، بل يفوقهم احترامًا لها، فقد قال: "إذا اختلف الإعرابان في القراءات لم أفضل إعرابًا على إعراب، فإن خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى" وهو في موقفه من القراءات النادرة، أو المخالفة لا يخرج عنهم أيضًا في قبولها، فقد ذهب مع سيبويه إلى أن حرف ابن مسعود: "وهذا بعلي شيخ" على حذف المبتدأ "شيخ"، قال: إذا كان مدحًا أو ذمًا استأنفوه، وخرج قراءة يعقوب بن أبي إسحاق الحضرمي: "بلدة طيبة وربًّا غفورًا" بالنصب على حذف الفعلين "أسكن، وأعبد"، وتابع الكسائي في تخريجه لقراءة الحسن: "لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم" ببناء "ظلم" للمفعول "إلا من ظلم"، قال: قال الكسائي: هذا استثناء يعرض، ومعنى يعرض: استثناء منقطع، وذهب مع النحاة إلى أن "أطهر" في قراءة أهل المدينة: "هؤلاء بناتي هن أطهر لكم" حال، وكان ثعلب يتخلق بأخلاق العلماء؛ فلا يدلي برأي لا يعرفه، وهذا ما ظهر في موقفه من بعض القراءات النادرة؛ إذ قال: لا أعرفه، كما كان ينص على الوجوه النحوية التي لم تبلغه قراءتها، وكان أغلبها قراءات شاذة.**

**ابن كيسان:**

**ننتقل إلى ابن كيسان أبي الحسن محمد بن أحمد المتوفى سنة تسع وتسعين بعد المائتين، ونختم القرن الثالث بتلميذ أبوي العباس: ثعلب، والمبرد. فهذا النحوي لم تصل إلينا كتبه، ولكن النصوص المتفرقة تدل على تمكنه في فن القراءات، وعلى اعتداله في موقفه منها، ولا سيما القراءات النادرة، فقد خرج قراءة ابن محيصن: "سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم" بهمزة واحدة على حذف الاستفهام؛ لأن أم تدل عليها، واستشهد لها بقول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **تروح من الحي أم تبتكر** | **\*** | **وماذا يضرك لو تنتظر** |

**وأجاز بعض الوجوه النحوية التي تحتملها الآيات، ومن ذلك: تجويزه نصب "رب" من قوله تعالى: "الحمد لله ربَّ العالمين" على المدح، ورفضه وجه النداء فيها؛ لأنه يصير كما قال كلامين، وهو في الوجهين كلامان، ولكن أحدهما وهو النداء فيه التفات، ومن خلال هذا نستطيع أن نقول: إن ابن كيسان كان يسلم بوجوه القراءات الشاذة، بحيث يمكن أن نجعله إلى جانب الخليل، ويونس، وسيبويه، وقطرب، وأبي عبيدة، وثعلب.**

**المراجع والمصادر**

1. **(المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)**

**أبو الفتح عثمان بن جني، بتحقيق علي النجدي ناصف وزميليه، القاهرة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1994م**

1. **(مرشد الأعزة في بيان موقف العلماء من القراءات الشاذة)**

**عبد الكريم إبراهيم صالح، دار المحدثين, 2006م**

1. **)إعراب القراءات الشواذ)**

**أبو البقاء العكبري، بتحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب, 1996م**

1. **(الاختلاف بين القراءات)**

**أحمد البيلي، بيروت، دار الجبل، 1988م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي)**

**محمود أحمد الصغير، بيروت، دار الفكر المعاصر, 1999م**

1. **(كتاب المصاحف)**

**أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، بيروت، دار الكتب العلمية, 1985م**

1. **(مختصر في شواذ القران من كتاب البديع أو القراءات الشاذة)**

**الحسين بن احمد ابن خالويه، دار الهجرة، 1934م**

1. **(القراءات القرآنية في بلاد الشام)**

**حسين عطوان، بيروت، دار الجيل, 1982م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب)**

**عبد الفتاح القاضي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1975م**

1. **(اليزيدي القارئ النحوي دراسة نحوية قرآنية)**

**محمد أحمد علي سحلول ، دار الحسين الإسلامية, 1989م.**

1. **(شواهد القراءات بين ابن هشام وابن عقيل، دراسة نحوية تحليلية)**

**محمد أحمد علي سحلول، دار الطباعة المحمدية, 1993م**

1. **(قراءة أبي السمال العدوي)**

**حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، الجريس، القاهرة, 2000م**

1. **(قراءة عبد الله بن مسعود مكانتها ومصادرها إحصاؤها)**

**محمد أحمد خاطر، دار الاعتصام, 1990م**